شبهات حول أحاديث العقيدة

المحتويات

- الشبهة الأولى ٥

الطعن في الأحاديث الواردة بشأن الجن والشياطين

- الشبهة الثانية ٣١

توهم صحة حديث "أحد أبوي بلقيس كان جنّيًا"

- الشبهة الثالثة ٣٤

الطعن في أحاديث إرسال الشهب على الشياطين

- الشبهة الرابعة ٤٢

إنكار أحاديث السحر وحدِّ الساحر

- الشبهة الخامسة ٥٣

الطعن في حديث تكلم الذئب والبقرة بلغة البشر

- الشبهة السادسة ٥٩

الطعن في حديث "المؤمن يأكل في مِعًى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء"

- الشبهة السابعة ٦٤

إنكار حديث "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"

- الشبهة الثامنة ٧١

الطعن في حديث "حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"

- الشبهة التاسعة ٧٥

إنكار حديث "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة"

- الشبهة العاشرة ٨٠

رد أحاديث كون ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان

- الشبهة الحادية عشرة ٨٥

دعوى بطلان حديث "إن أحدكم يُجمع خَلْقُه في بطن أمه أربعين يومًا..."

- الشبهة الثانية عشرة ٩٦

دعوى بطلان حديث "العين حق"

- الشبهة الثالثة عشرة ١٠٥

إنكار حديث جريان الشمس وسجودها تحت العرش

- الشبهة الرابعة عشرة ١١٤

الطعن في حديث "تقارب الزمان"

- الشبهة الخامسة عشرة ١٢٥

توهم تعارض أحاديث تنازع الخيرية بين أول زمان الأمة وآخره

- الشبهة السادسة عشرة ١٣٥

دعوى تعارض حديث "لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد" مع القرآن والواقع

- الشبهة السابعة عشرة ١٤٠

إنكار حديث "تجديد أمر الدين كل مائة سنة"

- الشبهة الثامنة عشرة ١٥١

الطعن في أحاديث الفتنة من المشرق

- الشبهة التاسعة عشرة ١٥٧

الطعن في أحاديث أشراط الساعة

- الشبهة العشرون ١٧٣

الطعن في أحاديث وقت قيام الساعة

- الشبهة الحادية والعشرون ١٨٠

إنكار حديث "الجساسة"

- الشبهة الثانية والعشرون ١٨٨

الطعن في أحاديث المسيح الدجال

- الشبهة الثالثة والعشرون ١٩٩

الطعن في أحاديث المهدي المنتظر

- الشبهة الرابعة والعشرون ٢١٦

إنكار أحاديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

- الشبهة الخامسة والعشرون ٢٢٣

دعوى تعارض الأحاديث في شأن الفئة التي تقوم عليها الساعة

- الشبهة السادسة والعشرون ٢٢٩

الطعن في حديث دنو الشمس من الخلق يوم القيامة

- الشبهة السابعة والعشرون ٢٣٦

الطعن في أحاديث عذاب القبر ونعيمه

- الشبهة الثامنة والعشرون ٢٥٥

الطعن في حديث "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"

- الشبهة التاسعة والعشرون ٢٦٧

إنكار أحاديث سماع الموتى لكلام النبي ﷺ

- الشبهة الثلاثون ٢٧٩

توهم صحة حديث "سماع الحيِّ من الميِّت"

- الشبهة الحادية والثلاثون ٢٨٣

دعوى تعارض الأحاديث في حكم مرتكبي الكبائر وعصاة الموحدين ومصيرهم

- الشبهة الثانية والثلاثون ٢٩٥

دعوى تعارض الأحاديث الواردة في مآل الأطفال الموتى

- الشبهة الثالثة والثلاثون ٣١٠

إنكار حديث الكتابي فداء للمسلم من النار

- الشبهة الرابعة والثلاثون ٣١٨

الطعن في حديث "يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح"

- الشبهة الخامسة والثلاثون ٣٢٥

دعوى أن أحاديث "النيل والفرات من الجنة" تخالف الواقع

- الشبهة السادسة والثلاثون ٣٣١

توهم صحة حديث "طوبى شجرة في الجنة"

- الشبهة السابعة والثلاثون ٣٣٥

توهم صحة حديث "الجنة تحت أقدام الأمهات"

المصادر والمراجع ٣٣٩

الشبهة الأولى

الطعن في الأحاديث الواردة بشأن الجن والشياطين(*)

مضمون الشبهة:

انطلاقًا من مماراة الطاعنين المغرضين في حقيقة عالم الجن والشياطين، باعتباره عالمًا غيبيًّا لا تقع عليه الحواس ـ طعن بعض منكري السنة في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ بشأن هذا العالم، وحاكوا حول هذه الأحاديث نسيجًا متنوعًا من الأباطيل والشكوك مختلفة الوجهات والمقاصد، فأنكروا الأحاديث الصحيحة الواردة في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، والتي تثبت أن الجن يأكلون ويشربون، كنهي النبي ﷺ عن الاستنجاء بالعظم والروث؛ لأنهما طعام الجن، وما ورد صريحًا من أن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله.

وحجتهم في ذلك زعمهم أن الجن عالم روحاني كالملائكة، فلا يأكل ولا يشرب ولا يتناكح.

ونظر المنكرون في اتجاه آخر، فأنكروا حديث نهي النبي ﷺ عن الصلاة في أعطان الإبل؛ لأنها خلقت من الشياطين، وقالوا: كيف تكون كذلك ومعلوم أنها خلقت من الإبل أمثالها؟

وفي سفور وتبجُّح ينبئ عن جهل فاضح بطلاقة القدرة الإلهية ـ أنكر المغرضون تصوُّر الجن وتشكلهم في الصور، وعليه أنكروا حديث طلوع الشمس بين قرني الشيطان، وقالوا: كيف يتفق هذا ـ من العظمة لهم ـ مع ما ورد من جريانهم من ابن آدم مجرى الدم في هذه الصورة اللطيفة الرقيقة، فادَّعوا التناقض بين هذين الحديثين، وأن الخبر والنظر يكذبانهما.

وامتدادًا لهذه الأضلولة أنكروا حديث تمثل الشيطان لأبي هريرة ﷺ في صورة رجل يخادعه، ويسرق من صدقة الفطر.

وأما عن طعن المدَّعين المغرضين في الأحاديث الواردة بشأن علاقة الجن والشيطان بالإنسان ـ فحدِّث ولا حرج، وكأنهم قد خفيت عليهم تلك المعركة الحتمية والصراع الأبدي بين الشيطان والإنسان؛ فطعن المغرضون في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال:"كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب"، واستندوا إلى توقُّف الزمخشري في صحته، وتشكيكه في مضمونه.

وراح المغرضون يبطلون الأحاديث الواردة بشأن وسائل الشيطان في سبيل إغواء الإنسان وإضلاله عن الإيمان والطاعة، مثل حديث عقد الشيطان على قافية النائم ثلاث عقد، وحديث بول الشيطان في أذن النائم إذا لم يُصَلِّ، وقالوا: كيف يعقد وكيف يبول؟ وأنكروا هذا التسلط من الشيطان على الإنسان.

وقياسًا على هذا أنكروا حديث: "التثاؤب إنما هو من الشيطان" معتقدين خطأً نسبة الفعل نفسه إلى

(*) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، تحقيق: أبي المظفر سعيد بن محمد السناري، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ضلالات منكري السنة، د. طه حبيشي، مطبعة رشوان، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٩م. دفاع عن السنة، د. محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. الإسلام وصياح الديك، جواد عفانة، دار جواد، الأردن، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة، د. سيد حسين العفاني، دار العفاني، مصر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م. تحرير العقل من النقل، سامر إسلامبولي، مطبعة الأوائل، دمشق،٢٠٠١م.

الشيطان؛ ولذا قالوا: هذه عملية فسيولوجية ليس للشيطان دخل فيها!

وقالوا: إن كان للشيطان ما ذكرتموه من هذا التسلط، فكيف يمتنع عليه اختراق الأبواب المغلقة، وحل الأسقية، مع اعترافكم بإمكانه الإضرار بالصبيان، كما في حديث: "إذا كان جُنْح الليل أو أمسيتم، فكفُّوا صبياناكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإن ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قُرَبَكم، واذكروا اسم الله، وخَمِّروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم".

ثم قالوا: فإن قلتم: إنه يندفع بالذكر، فَلِمَ يعص الناس، ويرتكبون الذنوب والفواحش، والأبواب مغلقة؟!

ثم يزعمون بطلان الأحاديث التي نهت عن قتل الحيَّات التي في البيوت، قائلين: إن مناقشة الجانب العلمي للأحاديث يبطله؛ إذ كيف يترك الإنسان بيته لأفعى ثلاثة أيام دون قتلها، فإن تركت البيت بعد هذه الثلاث فبها ونعمت، وإلا قام بقتلها. ويرمون من وراء هذه الأباطيل إلى إنكار تلك الأحاديث الصحيحة التي تقدِّم لنا صورة جلية عن حقيقة هذا العالم الغيبي، الذي ليس لنا طريق إلى معرفته إلا بالوحي.

وجوه إبطال الشبهة:

١) إن عالم الجن والشياطين من الغيب الذي أُمرنا بالإيمان به؛ إذ لا نمتلك أدوات التعرف إليه، وطريق معرفتنا به الوحي من قرآن وسنة، وجمهور طوائف المسلمين، بل أهل الكتاب من اليهود والنصارى على إثبات الجن.

٢) لقد أثبتت الأحاديث الصحيحة من رواية البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث ـ أن الجن يأكلون ويشربون، ودلَّ القرآن على أنهم يتناكحون، فلا وجه للقول بأنهم عالم روحاني كالملائكة؛ إذ بينهما فرق واضح.

٣) معنى خَلْقِ الإبل من الشياطين ـ كما ذكره العلماء ـ أنها خُلقت من جنس الشياطين، فهي متصفة بصفاتها، ومتطبعة بطباعها من النفور والهياج، وليس من نسلها وصلبها، وذلك مثل قول الله ﷻ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء: ٣٧)؛ أي طبيعته هكذا. وأعطان الإبل مأوى الشياطين؛ ولذا نُهي عن الصلاة فيها، كما نُهي عن الصلاة في الحمام؛ لأنها بيوت الشياطين.

٤) للجن قدرة على التصوُّر والتشكُّل في الصور المختلفة، بما أعطاه الله من قدرة على هذا، وليس هذا غريبًا على قدرة الله، وإنما ينكر ذلك من لم يحط علمًا بعجائب المقدورات، فلا غرو ـ إذن ـ أن يظهر الشيطان بتلك الصورة من العظمة، منتصبًا في محاذاة الشمس وله قرنان، أو أن يجري من ابن آدم مجرى الدم، أو أن يتشكل في صورة إنسان متمثلًا لأبي هريرة ﷺ، وقد جاء بذلك كله الخبر الصحيح، فلا نكران.

٥) لقد أعلن الله ﷻ في كتابه عداوة الشيطان للإنسان فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر: ٦) فالشيطان يخدع ويُضل، ويزين ويغوي عن الإيمان والطاعة، وقد أعطاه الله هذه الفرصة، وفي

الوقت نفسه حذَّر الإنسان منه ونهى عن الركون إليه، وأعطاه فرصة الاختيار تحقيقًا للابتلاء والاختبار، وعلى هذا فللشيطان وسائل لإغواء الإنسان جاء مخبرًا عنها الوحي، كطعنه لكل مولود عند ولادته، وعقده على قافية النائم، وبوله في أذنه إذا لم يُصلِّ، هذا إذا لم يكن هذا الإنسان من عباد الله المخلصين المحترزين من الشيطان بالذكر، وأما المحترزون فإنه لا يستطيع إغواءهم، ومن ثم فتسلُّطه مشروط، ولذا لا يقدر على فتح باب مغلق، ولا حلِّ سقاء، أو كشف إناء إذا ذُكر اسم الله.

٦) إن الأحاديث التي وردت في النهي عن قتل الجنان ـ الحيَّات ـ أحاديث صحيحة رواها مسلم في صحيحه وغيره من أصحاب السنن والمسانيد، ولكنها خاصة بالحيات في بيوت المدينة فقط دون غيرها، وقد صرح النبي ﷺ بسبب ذلك النهي، وهو أنه أسلم طائفة من الجن بها، فيتمثَّل بصورة حيَّات، لذلك يحرج علينا قتلها إلا بعد استئذانها بثلاثة أيام. هذا كله في تفصيل لا تغني الإشارة إليه هنا عن الرجوع إليه في مواضعه.

التفصيل:

أولا. عالم الجن والشياطين عالم غيبي ثابت بإخبار الأنبياء المتقدمين، والرسالة الخاتمة من قرآن وسنة صحيحة، فوجب الإيمان به، فهذا طريقنا الوحيد لمعرفتنا به:

لا ريب أن من أَلْزَم لوازم المسلم أن يكون لديه يقين راسخ بكليات العقيدة وجزئياتها، فالإنسان ـ أيًّا كان على اختلاف مشارب الناس ومداركهم ومقاصدهم، وحيثما كان وفي كل زمان، وفي أي ظرف وُجد ـ لا يخلو من عقيدة أبدًا، صحيحة كانت أو باطلة.

وعقيدة الإسلام تتطلب من المسلم إيمانًا راسخًا، وهذا الإيمان يتطلب بدوره الإيمان بالغيب الذي أخبرت به أنوار الوحيين الشريفين؛ إذ الإيمان في أصوله غيب.

ولما كان مدار العقيدة الإسلامية على الإيمان بالغيب، كان الغيب هدفًا مستهدفًا من قِبَل أعداء الإسلام والمسلمين؛ إذ التشكيك في الغيب تشكيك في الدين، وإيقاع للمسلم في الحيرة والشك والاضطراب، وتوهين وتضعيف لشخصية المسلم.

وتحقيقًا لهذا الهدف المسموم راح أعداء الإسلام يغرقون الساحة الإسلامية بالنظريات المادية، التي تجعل المادة هي الأصل في التسليم بوجود الأشياء، وتحكم على كل ما لم يقع عليه الحس بالعدم، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها.

ذلك أن وجود الغيب حقيقة لا تُنكر، فالإنسان يلفُّه الغيب، ويحيطه من كل جانب، فهو قادم من غيب، وماضٍ إلى غيب، بالإضافة إلى أن ما يعلمه قطرة من بحر لا ساحل له.

ومن هذا المنطلق أنكر المدَّعون على المسلمين اعتقادهم في الجن، ومن ثم أنكروا أحاديث الشياطين والجن، وزعموا تناقض بعضها بعضًا، أو تناقض بعضها للعقول، وأنكروا أحاديث صحيحة في أعلى درجات الصحة.

وقبل أن نتناول هذه الأحاديث لنزيل عنها كل لَبْس واشتباه، لزم علينا أن نقدم بمقدمة مهمة عن علاقة العقل بالغيب، وحدود مدارك العقول في عالم الشهادة

وعالم الغيب، وبادئ ذي بدء نقرر حقيقة لا مندوحة عن إغفالها أو تجاهلها، وهي حقيقة لا ينبغي أن تغيب عن بال المتأمل المتحرر عن الأسبقيات الفكرية والعصبية، وهي أن الإسلام أطلق للعقل العنان، بل أرشده إلى اكتشاف قوانين عالم الشهادة بالنظر فيه والتأمل في آياته، فالقرآن الكريم يحثُّ العقل، ويدفعه دفعًا إلى التعرُّف إلى هذا الكون واكتشاف قوانينه، ومعرفة خصائصه، والتعرُّف إلى العلاقات المتبادلة بين أنواعه وأجزائه للوقوف على خصائص العلاقات السببية الكامنة فيه؛ لأن ذلك كله يرتبط برسالة الإنسان في هذا الكون والهدف من وجوده، واستخلافه في الأرض، وتنفيذه للأمر القرآني باستعمارها، وهذه المهام لا تتحقَّق للمسلم إلا باكتشاف قوانين الأشياء ومعرفة العلاقات السببية فيها؛ ليستطيع أن يحقق فيها المعنى الإلهي المقصود من تسخير هذا العالم من سمائه إلى أرضه لصالح الإنسان[1].

من هذا المنطلق جعل القرآن الكون مسرحًا لنظر الإنسان العقلي وعمله الفكري، وفتح أمامه مجالًا أرحب وآفاقًا أوسع للعقل؛ ليتأمل وليصل إلى ما يجهل من صفحة هذا الكتاب المنظور.

وقدَّم القرآن الكريم في هذا الصدد آيات عديدة، منها ما يدعو إلى النظر في البيئة التي يعيش فيها الإنسان وما فيها من أصناف الموجودات، وما فيها من دقة الصنعة وإتقانها، مثل قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية).

وأحيانًا يطلب القرآن من العقل ألا يكتفي بمجرد النظر إلى هذا الكون، بل لا بد أن يخترق ظواهره؛ ليكشف ما في داخله وباطنه، قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (يونس:١٠١).

ومعلوم أن النظر في الشيء أعلى درجة ومرتبة من النظر إليه، فليصعد الإنسان إلى القمر وإلى الكواكب، وليهبط إلى باطن الأرض مكتشفًا وباحثًا، فالكون كله مسرح للعقل وميدان لعمله.

إن المنهج الصحيح في قضايا الغيب هو الاعتصام بالنص، من قرآن وسنة صحيحة، والإيمان بما جاء فيهما، فليس للعقل سبيل إليه إلا بهذا؛ إذ إنه ليس مؤهلًا للبحث فيه.

الشيطان والجان عالم غيبيٌّ:

الجن خلق من خلق الله ﷻ، وهم عالم غيبي أمرنا الله بالإيمان به، وهو عالم مستقل عن الإنسان والملائكة، له تكوينه الخاص، وقوانينه الخاصة، وسُمِّي جنًّا لاستتارهم، فهم مستورون عن الخلق لا يرونهم، "وتحت نوع الجن: الكافر والمؤمن، فالكافر منهم هو الشيطان، وأولهم إبليس"[2].

وطريق معرفتنا بهذا العالم هو الوحي وليس العقل؛ لأن العقل ـ كما تقدم ـ لا يمتلك التعرف إلى عالم الغيب، ومنه عالم الجن. قال القاضي عبد الجبار (ت:٤١٥هـ):"اعلم أن الدليل على إثبات وجود الجنِّ السمعُ دون العقل؛ وذلك أنه لا طريق للعقل إلى إثبات

١. قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، د. محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٥٢ بتصرف.

٢. علاقة الإنسان بالمَلَك والشيطان، د. حبيب الله حسن أحمد، ص٥٢.

أجسام غائبة؛ لأن الشيء لا يدل على غيره من غير أن يكون بينهما تعلق، كتعلق الفعل بالفاعل، وتعلق الأعراض بالحال... والذي يدل على إثباتهم - أي الجن - آي كثير من القرآن تغني شهرتها عن ذكرها، وأجمع أهل التأويل على ما يذهب إليه من إثباتهم بظاهرها، ويدل أيضًا على إثباتهم ما علمناه باضطرار من أن النبي ﷺ كان يتدين بإثباتهم"[1].

إن طريق العلم بهذا العالم الغيبي من الجن إنما يؤخذ من السمع؛ لأن الله ﷻ أعلمُ بهذا الغيب الذي استأثر بعلمه، وحجبه عن خلقه؛ ولذا قال ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ): "لم ندرك بالحواس ولا عَلِمْنَا وجوب كونهم (أي: الجان) ولا وجوب امتناع كونهم في العالم أيضًا بضرورة العقل، لكن عَلِمْنَا بضرورة العقل إمكان كونهم؛ لأن قدرة الله ﷻ لا نهاية لها، وهو ﷻ يخلق ما يشاء، ولا فرق بين أن يخلق خلقًا عنصرهم التراب والماء، فيسكنهم الأرض والهواء والماء، وبين أن يخلق خلقًا عنصرهم النار والهواء، فيسكنهم الهواء والنار والأرض، بل كل ذلك سواء ممكن في قدرته، لكن لما أخبرت الرسل - الذين شهد الله ﷻ بصدقهم بما أبدَى على أيديهم من المعجزات المحلية للطبائع - بنص الله ﷻ - على وجود الجن في العالم، وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم، قد جاء النص بذلك، وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة، موعودة متوَعَّدة، متناسلة يموتون، وأجمع المسلمون كلهم على ذلك، نعم والنصارى والمجوس والصابئون، وأكثر اليهود حاشا السامرة فقط، فمن أنكر الجن أو تأوَّل فيهم تأويلًا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك"[2].

إن وجود هذا العالم الغيبي حقيقة ثابتة، ومعلوم من الدين بالضرورة، وتواترت بذلك الأخبار عن الأنبياء، ولا يُنقض هذا ويُعترض عليه بعدم رؤيتهم؛ فليس كل ما لا يقع عليه الحس منكورًا معدومًا؛ فالحواس نفسها لا تستطيع إدراك ما يتوصل إليه العقل من أفكار مجرَّدة ونظريات عقلية، مع أن الحواس هي التي تساعد العقل على اكتساب المعارف، فهي - كما سبق - روافد المعرفة العقلية، وجواسيس العقل على عالم الشهادة، وهذه الأفكار لا يستطيع الحس أن ينكرها أو يدعي عدمها، والعقل بالمثل لا يختلف عن الحواس، ومن ثم فليس من حقه أن ينكر ما عداه، فكما أن لكل حاسة مجالها، كذلك للعقل مجاله ومحيطه الذي لا يتعداه ولا يتخطاه، وليس من حقه أن ينكر ما يخرج عن نطاق إدراكه، فهناك مستويات من المعرفة لا يستطيع العقل أن يتوصل إليها، وذلك بلا ريب لا يعني عدم وجودها.

إن عالم الجن عالم غيبي، العقل مقيَّد فيه بما يخبره به السمع والنقل، وما أتى به الوحي على الأنبياء، فوجود الجن مما تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالضرورة، وإنكار المنكرين للجن تكذيب بالوحي وإخبار الأنبياء، وتكذيب للأنبياء أنفسهم، ولذا حكى الإجماع على وجود الجن ابنُ تيمية (ت: ٧٢٨هـ) فقال: "لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود

١. آكام المرجان في أحكام الجان، بدر الدين أبو عبد الله الشبلي، (١/ ٤).

٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر ود. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (٥/ ١١١).

والنصارى، فهم مُقِرُّون بهم كإقرار المسلمين، وإن وُجد فيهم من ينكر ذلك... وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالضرورة، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيُّون، ليسوا صفاتٍ وأعراضًا قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعم بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواترًا عن الأنبياء تواترًا تعرفه العامة والخاصة، فلا يمكن لطائفة من المنتسبين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم"[1].

وذكر إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ): "أن العلماء أجمعوا في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله ﷻ من شرورهم، ولا يراغم هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين"[2].

ليس لعاقل إذن أن ينكر وجود الجن والشياطين "لمجرد أنه خارج عن مألوفنا العقلي أو تجاربنا المشهودة، ونحن لم ندرك بعدُ كل أسرار أجسامنا وأجهزتها وطاقاتها، فضلًا عن إدراك أسرار عقولنا وأرواحنا"[3].

تلك هي خلاصة الحقيقة التي أردنا الكشف عنها، والتي نستطيع بعدها أن نقول: إنه قد ثبت وجود الجن بالدليل القطعي الذي لا احتمال فيه، والدليل هو الخبر الصادق الذي جاء به القرآن بنصوص قاطعة لا احتمال فيها، وما جاءت به السنة النبوية من نصوص صحيحة ثابتة.

وقد أخبر القرآن عن الجان في مواضع كثيرة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (الأحقاف: ٢٩)، ومنه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ (الرحمن).

وقد جاء في السنة أحاديث ثابتة صحيحة تثبت حقيقة الجان وتخبر عنهم، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم والترمذي، وابن إسحاق وعامة أصحاب السيرة، واللفظ للبخاري أنه ﷺ "انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تَسَمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ (الجن). وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ

١. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، مصر، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، (٩/ ١٠).
٢. آكام المرجان في أحكام الجان، الشبلي، مرجع سابق، (١/ ٣).
٣. عالم الجن والشياطين، د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٦.

﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ (الجن) وإنما أُوحِيَ إليه قول الجن"[1].

وإذا كان وجود هذا العالم مستندًا إلى هذه الأخبار اليقينية وما سيأتي بعدُ، والتي وردت في الكتاب وفصَّلتها السنة، وكان أمرها معلومًا من الإخبارات الإلهية بالضرورة، كان الفرق بين مَن يؤمن بهذا العالم ومن ينكره، هو الفرق بين من يؤمن بوجود الله ﷻ وبكلامه ووحيه، ومن لا يؤمن به.

إن صح لنا استيعاب ما مضى من الكلام، وتوصلنا إلى إثبات هذا العالم الغيبي شرعًا وعقلًا، وآمنا بأن هذا العالم يُتَعَرَّف إليه من خلال ما جاء به الوحي، وجب علينا التصديق بكل ما جاء به النقل عن هذا العالم، فنصدِّق ما جاء عنهم في القرآن والسنة الصحيحة الثابتة من أخبارهم وصفاتهم وقوانينهم... إلخ، وإن كان في هذه الأخبار ما يخرج ـ أو يُظن كذلك ـ عن إدراك عقولنا القاصرة، وقد نبه على معانيها العلماء وشراح الحديث، وهذا هو موضوع التفصيل والبيان في الوجه الآتي ®.

ثانيًا. الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون، ومن كانت هذه صفاته بطل الزعم بروحانيته كالملائكة:

لقد جاء الوحي مخبرًا عن عالم مستقل عن عالم الإنس، ومستقل أيضًا عن عالم الملائكة، ذاك العالم هو عالم الجن.

وقد أخبر الوحي عنهم، مجليًا صورة هذه الأمة، ومظهرًا مادة خلقهم، وصفاتهم وقوانينهم، والغاية من خلقهم، وعلاقتهم بالإنسان... إلخ؛ كل هذا في كلام واضح بيِّن ينجينا من الوقوع في براثن الحيرة والتخبط، شريطة أن نؤمن بما جاء به الوحي الشريف دون إقحام العقل في تأويلات فاسدة، ودون أن نضني عقولنا فيما لا طائل من ورائه.

أخبر الله تعالى أن الجن خُلقوا من النار، قال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ (الحجر)، قال: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾ (الرحمن)".

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم"[2].

وجاء التصريح في القرآن بأن للجن قلوبًا وأعينًا وآذانًا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وصرَّح القرآن بأن للشيطان صوتًا، قال ﷻ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ (الإسراء: ٦٤).

وثبت في الأحاديث الصحيحة أن الجن يأكلون ويشربون، فهم مفتقرون إلى الغذاء المناسب لذواتهم افتقارَ سائر الحيوانات والنباتات إلى أغذيتها المناسبة؛

---

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: التفسير، باب: سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، (٨/ ٥٣٧)، رقم (٤٩٢١).

® في "**وجوب الإيمان بما أخبر عنه النبي من الغيبيات**" طالع: الشبهة الخامسة، من هذا الجزء. و في "**أهمية الوحي في الإيمان والتصديق بعالم الغيب**" طالع: الشبهة الرابعة والثلاثين، من هذا الجزء. وفي "**صحة حديث "لقاء النبي بالجن" ورواية بعض الصحابة له غير ابن مسعود**" طالع: الوجه الثالث، من الشبهة التاسعة والعشرين، من الجزء الرابع (عدالة الصحابة).

٢. صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة، (٩/ ٤٠٨٤)، رقم (٧٣٦٠).

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ أمره أن يأتيه بأحجار يستجمر بها وقال له: "ولا تأتني بعظم ولا بروثة"، ولما سأل أبو هريرة الرسول ﷺ عن سر نهيه عن العظم والروثة، قال: "هما من طعام الجن، وإنه أتاني وَفْدُ جِنِّ نصيبين[1] ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طُعمًا"[2].

وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن"[3].

وقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأكل ويشرب بشماله، ومن ثم نهانا عن الأكل والشرب بالشمال؛ فقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله"[4].

وهنا تعرِض شبهة من شبه المنكرين؛ إذ قالوا: الشيطان روحاني كالملائكة، فكيف يأكل ويشرب، وكيف له يد يتناول بها؟

ونقول: أما قولهم: إن الشيطان كائن روحاني ـ فهذا مردود بما ورد أنهم يأكلون ويشربون، وهذا على الحقيقة وليس على المجاز، ولا يمنع أن يكون لهم يد يأكلون بها؛ لما ثبت أن لهم عيونًا وآذانًا وقلوبًا وصوتًا كما تقدم، ومما يثبت أن أكلهم وشربهم على الحقيقة ما ثبت بالآثار الدالة والأخبار الصادقة التي جاءت في أصح كتب السنة، أن طعامهم العظم والروث، ولا يقول عاقل: إن هذا ليس حقيقيًا.

ولا يقول عاقل بروحانية من يأكل ويشرب ويتناكح، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ (الرحمن)، وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (الكهف:٥٠).

ولا يصح الزعم بأن الجن لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، فهذا الزعم تبطله الآثار الدالة، والأخبار الصادقة التي سقناها من الكتاب والسنة، ونحن مأمورون بالإيمان بها؛ لأنها السبيل الوحيد لمعرفتنا بهذا العالم الغيبي.

ونحن نؤمن بما جاء به النقل كما أخبر به، ودون بحث عما سكت الشرع عنه، فنتقيد بما جاء به النقل. "وقد حاول بعض العلماء الخوض في الكيفية التي يأكلون بها، هل هو مضغ وبلع، أو تشمُّمٌ واسترواح، والبحث في ذلك خطأ لا يجوز؛ لأنه لا علم لنا بالكيفية، ولم يخبرنا الله ورسوله ﷺ بها"[5].

ثالثًا. حيوانات تصاحبها الشياطين:

من الحيوانات التي تصاحبها الشياطين الإبل؛ ولذا نهى الرسول ﷺ عن الصلاة في مَبَارِكِ الإبل، فعن البراء بن عازب أن الرسول ﷺ قال: "لا تصلُّوا في

---

١. نصيبين: بلدة مشهورة بالجزيرة العربية.

٢. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: ذكر الجن، (٧/ ٢٠٨)، رقم (٣٨٦٠).

٣. صحيح: أخرجه الترمذي في سننه (بشرح تحفة الأحوذي)، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في كراهية ما يستنجى به، (١/ ٧٤)، رقم (١٨). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (١٨).

٤. صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (٧/ ٣١١٥)، رقم (٥١٦٧).

٥. عالم الجن والشياطين، د. عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص٣٠.

مبارك الإبل؛ فإنها من الشياطين، وصلُّوا في مرابض الغنم؛ فإنها بركة"[١].

وعن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: "صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان الإبل، فإنها خُلقت من الشياطين"[٢].

وهنا تعرض شبهة أخرى من شبه القوم؛ إذ قالوا: كيف يُقال: إن الإبل خلقت من الشياطين، ومعلوم أنها خُلقت من إبل مثلها، كما أن البقر خُلقت من البقر، والخيل من الخيل، والأسد من الأسد، والذباب من الذباب؟!

والنبي ﷺ بلا شك "يعلم أن البعير تلده الناقة، وأنه لا يجوز أن تكون شيطانة تلد جملًا، ولا أن ناقة تلد شيطانًا"[٣]. وقوله: "إنها خلقت من الشياطين" يريد أنها من جنس الشياطين ونوعهم؛ فإن كل عاتٍ متمرد شيطانٌ من أي الدواب كان، فالكلب الأسود شيطان، والإبل شياطين الأنعام كما للإنس شياطين... والشياطين خَلْقٌ من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فأمر بالوضوء من لحومها؛ كسرًا لتلك الصورة، وقمعًا لتلك الحال، وهذا لأن قلب الإنسان وخلقه يتغير"[٤].

ولذا فإن الشيطنة من طبيعة الإبل، وقد ورد في رواية الإمام أحمد: "ألا ترون عيونها وهبابها إذا نفرت"[٥].

وعلى هذا فالمعنى "أنها في أصل الخلقة ـ خُلقت من جنس ما خُلِقَت منه الشياطين"... ولو كانت من نسلها لقال: فإنها خُلقت من نسلها، أو بطونها أو أصلابها، وما يشبه هذا. ولم تزل العرب تنسب جنسًا من الإبل إلى الحوش، فتقول: ناقة حوشية وإبل حوشية، وهي أنفر الإبل وأصعبها"[٦].

وقد ذكر العلامة ابن عثيمين الحكمة من الوضوء من لحم الإبل، بعد أن ذكر أن هذا أمر من الله على لسان رسوله يجب الامتثال له، وإن لم نعلم الحكمة؛ فذكر أن لحم الإبل شديد التأثير على الأعصاب؛ فيهيِّجها، ولهذا يحذِّر الطب الحديث الإنسان العصبي من الإكثار من لحم الإبل. والوضوء يسكن الأعصاب ويبردها، كما أمر النبي ﷺ بالوضوء عند الغضب لأجل تسكينه[٧].

مما سبق يتبيَّن أن المقصود أن الإبل تحمل صفات الشياطين، ومن ثم فلا مانع من أن تصحب الشياطين الإبل، فتكون الإبل ومعاطنها مأوى الشياطين، ولذا نُهي عن الصلاة في أعطان الإبل، وهذا يشبه النهي عن الصلاة في الحمام؛ لأن الحمامات بيوت الشياطين.

ولكن نقول ـ وإن كنا قد قدمنا تأويلات سائغة مقبولة تقرِّب المعنى للأفهام: أليس من الأفضل

---

١. صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: الصلاة، باب: النهي عن الصلاة في مبارك الإبل، (٢/ ١١٢، ١١٣)، رقم (٤٨٩). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٦٤).

٢. صحيح: أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: المساجد والجماعات، باب: الصلاة في أعطان الإبل ومراح الغنم، (١/ ٢٥٣)، رقم (٧٦٨). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٧٦٨).

٣. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، مرجع سابق، ص١٩٢.

٤. شرح العمدة في الفقة، ابن تيمية، تحقيق: د. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، (١/ ٢٣١).

٥. حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث عبد الله بن مغفل المزني، رقم (٢٠٥٧٦). وحسنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

٦. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، مرجع سابق، ص١٩٢.

٧. انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ، (١/ ٣٠٨).

والأصوب والأرشد أن نأخذ هذا النهي على أنه أمر تعبدي، ولا نسأل عن الحكمة ما دام النص قد ثبت؟ أعتقد أن هذا أسلم وآمن، وما يعقلها إلا العالمون!

رابعًا. تشكُّل الجن والشيطان في الصور بقدرة الله:

جاء في كتب السنة بأسانيد صحيحة وألفاظ متقاربة أن النبي ﷺ قال: "إن الشمس تطلع من بين قرني شيطان، فلا تصلوا لطلوعها"[1].

ولم يعجب هذا الحديث الطاعنين في أحاديث الجن والشياطين، فزعموا أن هذا الحديث يكذبه النظر والخبر، وقالوا: كيف جعلتم للشيطان قرونًا تبلغ السماء، وجعلتم الشمس ـ التي هي مثل الأرض ـ مرات تجري بين قرنيه؛ وأنتم ـ مع هذا ـ تزعمون أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فهو في هذه الحال ألطف من كل شيء، وهو في تلك الحال أعظم من كل شيء؟!

وجعلتم علة ترك الصلاة في وقت طلوع الشمس طلوعَها من بين قرنيه، وما على المصلِّي لله ﷻ إذا جرت الشمس بين قرني الشيطان، وما في هذا مما يمنع الصلاة لله ﷻ[2]؟!

وقد ادعى المغرضون التناقض بين هذين الحديثين، وقد فند هذه الشبهة، ودفع هذا الاشتباه ابن قُتيبة فقال: "إن إنكارهم لهذا الحديث، إن كان من أجل أنهم لا يؤمنون بخلق الشياطين والجن، وبأن الله ﷻ جعل في تركيبها أن تتحول من حال إلى حال، فتتمثَّل مرة في صورة شيخ، ومرة في صورة شاب، ومرة في مثال نار، ومرة في مثال كلب، ومرة في مثال جان، ومرة تَصِل إلى السماء، ومرة تَصِل إلى القلب، ومرة تجري مجرى الدم!!

فهؤلاء مكذبون بالقرآن، وبما تواطأت عليه الأخبار عن رسول الله ﷺ، والأنبياء المتقدمين، وكتب الله ﷻ المتقدمة، والأمم الخالية؛ لأن الله ﷻ قد أخبرنا في كتابه أن الشياطين يقعدون من السماء مقاعد للسمع، وأنهم يُرْمَونَ بالنجوم.

وأخبرنا الله ﷻ عن الشيطان أنه قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ (النساء: ١١٩) وهو لا يظهر لنا. فكيف يأمرنا بهذه الأشياء، لولا أنه يصل إلى القلوب بالسلطان الذي جعله الله ﷻ له، فيوسوس بذلك، ويزيِّن ويمنِّي، كما قال الله ﷻ"[3].

فالجن يتشكلون ويتصورون بصور مختلفة بما أعطاهم الله من قدرة على التحول والتشكل والتصور، فلا مانع من أن يبلغ الشيطان أن "ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين جانبي رأسه، لتقع السجدة له إذا سجد عَبَدَة الشمس لها، وكذا عند غروبها"[4].

ولا مانع أيضًا من أن يصل إلى قلب ابن آدم حتى يوسوس له، وكل هذا خاضع لمقتضى القدرة الإلهية وعموم الإرادة الحاكمة، ولو نظرنا إلى عجائب قدرة

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، (٦/ ٣٨٦)، رقم (٣٢٧٣). صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: أوقات الصلوات الخمس، (٣/ ١١٩٠)، رقم(١٣٦٢).

٢. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، مرجع سابق، ص١٨١.

٣. المرجع السابق، ص١٨٢.

٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، (٦/ ٣٩٢).

الله المشاهدة في كونه؛ لسهل علينا تصديق ما نحن بصدد إثباته، وسهل على العقل أن يتصور تشكُّل الجن وتصوره بما يراه من قدرة الله، ولو أن هؤلاء المنكرين"اعتبروا ما غاب عنهم بما رأوه من قدرة الله ﷻ؛ لعلموا أن الذي قَدَرَ على أن يفجر مياه الأرض كلها إلى البحر منذ خلق الله الأرض وما عليها، فهي تفضي إليه من غير أن يزيد فيه أو ينقص منه، ولو جُعِل لنهر منها مثل "دجلة" أو "الفرات" أو "النيل" سبيل إلى ما على وجه الأرض من المدائن والقرى والعمارات والخراب شهرًا ـ لم يبق على ظهرها شيء إلا هلك؛ هو الذي قدر على ما أنكروا.

وأن الذي قدر أن يحرِّك هذه الأرض، على عظمها، وكثافتها، وبحارها، وأطوادها، وأنهارها حتى تتصدع الجبال، وحتى تغيض المياه، وحتى ينتقل جبل من مكان إلى مكان ـ هو الذي لطف لما قدر. وأن الذي وسع إنسان العين[1]، مع صغره وضعفه لإدراك نصف الفلك على عظمه، حتى رأى النجم من المشرق ورقيبه من المغرب وما بينهما، وحتى خرق مسيرة خمسمائة عام ـ هو الذي خلق ملكًا ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة خمسمائة عام[2]. فهل ما أنكر إلا بمنزلة ما عَرَف؟ وهل ما رأى إلا بمنزلة ما لم يره؟ فتعالى الله أحسن الخالقين"[3].

إن قدرة الله التي تقول للشيء كن فيكون هي التي منحت الجن التشكل بصور مختلفة؛ ولذا فالجن "يتصور في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم، كما أتى الشيطان قريشًا في صورة سراقة بن مالك بن جشعم لما أرادوا الخروج إلى بدر، قال تعالى:﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الأنفال).

كما روي أنه تصور في صورة شيخ نجدي لما اجتمعوا بدار الندوة، هل يقتلون الرسول ﷺ أو يحبسونه أو يخرجونه، كما قال ﷻ:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال)[4].

أما عن إنكار الحديث من جهة النظر؛ إذ لا معنى لترك الصلاة من أجل أن الشمس تطلع بين قرني شيطان؛ فالجواب عنه أنه: "إنما أمرنا بترك الصلاة مع طلوع الشمس، لأنه الوقت الذي كانت فيه عَبَدَة الشمس يسجدون فيه للشمس.

---

١. إنسان العين: هو تلك النقطة التي تُرى بداخل الحدقة، وبها يقع الإبصار والنظر.

٢. فقد جاء عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: "أُذن لي أن أحدث عن مَلَك من ملائكة الله تعالى من حَمَلة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام"، وهذا حديث صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: السنة، باب: في الجهمية، (١٣/ ٢٦)، رقم (٤٧١٢). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٧٢٧).

٣. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، مرجع سابق، ص١٨٧.

٤. وبما يدل على أن التمثل مقيد بقدرة الله الفاعلة ـ ما صح أن الشيطان لا يتمثل في صورة النبي ﷺ. انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (١٩/ ٤٥، ٤٦).

وقد درج كثير من الأمم السالفة على عبادة الشمس والسجود لها، فمن ذلك ما قص الله ﷻ علينا في نبأ ملِكة سبأ ـ أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (النمل:٢٤)، وكان في العرب قوم يعبدون الشمس ويعظمونها ويسمونها الآلهة... فكرِه لنا رسول الله ﷺ أن نصلي في الوقت الذي يسجد فيه عبدة الشمس للشمس، وأعلمنا أن الشياطين حينئذ ـ أو أن إبليس في ذلك الوقت ـ في جهة مطلع الشمس، فهم يسجدون له بسجودهم للشمس، ويؤمونه"[1].

ومما ورد فيه ذكر قرن الشيطان حديث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبلٌ المشرق يقول: "الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان"[2]، والمراد بقوله: حيث يطلع قرن الشيطان؛ أي: جهة المشرق.

هذا عن حديث طلوع الشمس بين قرني شيطان، وأما عن دخوله في قلب بني آدم، فقد "صح النص بأنهم يوسوسون في صدور الناس، وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة"[3].

ومما يتعلق بتشكل الجن، روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "وكَّلَني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه. فأصبحت، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالًا، فرحمته فخلَّيت سبيله.

قال: أَمَا إنه قد كذبك وسيعود، فَعَرَفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالًا، فرحمته فخليت سبيله. قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات؛ إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥) حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله تبارك وتعالى بها، فخليت سبيله. قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ـ وكانوا أحرص شيء على الخير ـ فقال

---

١. تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، مرجع سابق، ص١٨٣، ١٨٤.

٢. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: "الفتنة من قِبَل المشرق"، (١٣/ ٤٩)، رقم (٧٠٩٣).

٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مرجع سابق، (٥/ ١١٢).

النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب.تَعْلَمُ من تخاطب مُذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان"[1].

وقد أنكر المغرضون هذا الحديث، وقالوا: إن الجن ممنوعة من رؤية الإنسان لها، سواء أكان بشرًا عاديًّا أم نبيًّا من عند الله، فكيف يراها أبو هريرة؟ وقالوا: زعم أبو هريرة أن الشيطان علَّمه كلمات تحصنه من الشيطان، والإنسان لا يسلم من الشيطان مع قراءته لهذه الكلمات: آية الكرسي.

والجواب: عن قضية تشكل الجن تحدثنا عنها فيما تقدم، وأن الله أعطاه القدرة على التصور والتحول بصور وأشكال مختلفة، ومن ضمنها التشكل بصور بني آدم، وقد سمَّى الله ﷻ الجن رجالًا كما سمى الإنس رجالًا فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ (الجن): وإنما ينكر ذلك من لا يحيط علمًا بعجائب المقدورات، وقد ثبت أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، ومن عرف ذلك لم ينكر ما كان بمنزلته من تصور الجن في صورة شخص، ولا مانع من أن يراه أبو هريرة، وهذا لا يعارض قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف:٢٧)، لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾ "مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها"[2].

وعلى هذا المعنى يُحمل قول الشافعي: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبيًّا، فهذا محمول على من يدَّعي رؤيتهم على صورهم التي خُلِقُوا عليها، وأمَّا من ادَّعى أنه يرى شيئًا منهم بعد أن يتصور على صور شتى من الحيوانات فلا يُقدح فيه، وقد تواترت الأخبار بتصورهم في الصور[3].

وقد أخبر الله عن تصور الجن بصور مختلفة، وقيامهم بوظائف شتى حينما كانوا مسخرين - بإذن الله - لنبي الله سليمان: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ (ص)، وأخبر عن قدرتهم التي أعطاها الله لهم، والتي تفوق قدرة البشر: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ (النمل: ٣٩).

وإذا ثبت رؤية الإنسان للجن حين تشكل في صورة من الصور على غير صورته التي خلق عليها، وأن هذا غير ممتنع، ثبت من باب أولى عدم امتناعه عن الأنبياء، وادعاء امتناع رؤية النبي للجن أظهر وأبين في التهافت من أن يرد عليه، بل النبي من الممكن أن يراه على صورته التي خلق عليها.

وأما قول القائل: إننا لنقرأ آية الكرسي مرارًا، ثم لا يندفع عنا الشيطان، فهذا جهل بتنوع أعداء الإنسان التي يمثل الشيطان واحدًا منها، فالنفس من أعدى أعدائه، وكذلك الدنيا وهوى الإنسان، فإذا استطاع الإنسان دفع الشيطان وكيده الضعيف بآية الكرسي والاستعاذة وذكر الله، فإنه لا بد له من قمع النفس الأمارة بالسوء ومجاهدتها بالمخالفة "فهذه النفس التي يحملها الإنسان بين جنبيه، والتي تضم مجموعة الغرائز

١. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكَّل رجلًا فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكِّل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، (٤/ ٥٦٨، ٥٦٩)، رقم (٢٣١١).

٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، مرجع سابق، (٤/ ٥٧١).

٣. انظر: المرجع السابق، (٦/ ٣٩٦).

الحيوانية أو الهابطة، التي يشعر بها الإنسان في شكل رغبات ملحَّة. هذه النفس من مظاهرها هذا الخيال الجامح الذي يرسم صورة مغرية للمعصية أو المخالفة، ويسهِّل الوصول إليها، ويهيِّئ للإنسان من المُتع التي تترتب على هذه المخالفات ما يجعل إرادته أمام كل هذه الأمور تضعف وتتراجع، ما لم تكن هذه الإرادة صارمة بتَّارة تقطع كل رغبة، وتقف دون كل هوى، فتحول بين الإنسان وبين ما يشتهي من هذه الرغبات.

أما إذا كانت الإرادة ضعيفة فإن النفس برغباتها تستطيع من خلالها أن تنفذ إلى ما تريد، خصوصًا إذا كانت هذه النفس أمارة بالسوء، لم يعوِّدها صاحبها على الالتزام، ولم يفطمها عن المخالفات"[1].

وصدق الشاعر إذ يقول:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على

حب الرَّضاع وإن تفطمه ينفطم

فأعداء الإنسان كثيرون، والشيطان أحدهم، وربما كان أضعفهم كيدًا: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ (النساء)، وصدق الشاعر حين قال:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى

كيف الخلاص وكلهم أعدائي

ولو كان الشيطان هو العدو الوحيد للإنسان، لكان الإنسان أتقى ما يكون في رمضان، ولم يرتكب أي معصية أو ذنب فيه؛ إذ صح أن الشياطين تُسلسل في رمضان، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:"إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين"[2].

لكن يوجد هناك شياطين الإنس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (الناس)، وقال ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام: ١١٢).

خامسًا. علاقة الإنسان بالجن والشيطان:

بدأ الصراع بين الإنسان والشيطان برفض الشيطان أمر الله ﷻ بالسجود لآدم، استكبارًا منه وكفرًا وعنادًا ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (البقرة) وظن أنه خير منه لخلقه من النار بينما خلق آدم من طين: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ (الأعراف)، وكان الجزاء وفاقًا من الله بطرده ولعنه: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الأعراف).

وامتلأ لذلك إبليس حنقًا وغيظًا وحقدًا على آدم وبنيه، وطلب من ربه إمهاله لغوايتهم وإضلالهم، فأخرج آدم من الجنة حين وسوس له، وجعله يأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، وتوعَّد إبليس الإنسان وأعلنها صريحة: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ

---

١. ضلالات منكري السنة، د. طه حبيشي، مرجع سابق، ص٢٢٧.

٢. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفه إبليس وجنوده، (٦/ ٣٨٧)، رقم (٣٢٧٧). صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الصيام، باب: فضل شهر رمضان، (٤/ ١٧٢١)، رقم (٢٤٥٦).